

النّديّة العلميّة ... أمل واعد و سعي د ووب

د. جمال التركي - الطب النفسي / تونس

ببريد الكتروني : turky.jamel@gnet.tn

"في السادس عشر من أبريل عام 1953 قال الرئيس الأمريكي الراحل اينرلهاور ان كل بلدية ينير تصنيها وكل بارجه ينير قد شيها، وكل صاروخ ينير اطلاقه، هو في النهاية مسروق ممن يعاونون الجماعة من دون أن يطعمهم أحد ومن دون أن يدشهم أحد من معاناة البرد. ولعل هذا الشبيه الأمريكي المبك منذ أكثر من نصف قرن يضاعف من صدمتها مما قرؤناه حاليا على موقع الإنترنت : www.costofwar.com من أرقام مغيرة في كل ثانيه، تبرز تكلفه الحرب على العراق غير منضمة، ما ينكبده العالم في تلك الحرب وإثما ما تدفعه الولايات المتحدّة وحدها. و قد وصل أخيرا إلى 111,778,777,859 دولارا أمريكيا والرقم في تزايد مواصلة بالطرح. وكان يمكن للولايات المتحدّة بدلا من ذلك الإنفاق الهائل على الحرب .. إن تضمن دخول المدارس لـ 15,803,624 طفلا أمريكيا، وتغطية تكليف التأمين الصحي لـ 47,912,160 أمريكيا لمدة عام و توظيف 2,129,125 مدرسا في المدارس الحكومية، وبناء 1,596,845 وحدة سكنية لمواطنيها. فضلا عما كان يمكن أن تحقته تلك الأموال الطائلة لبلدان العالم الثالث المحرومة من الموارد. ولا أحصي هنا أعداد القتلى والمصابين والمعوقين والبنية التحتية التي دمرت والجامعات والمراكز الثقافية التي هُبت .. هذا هو حال العالم...."

أ.د. أحمد عكاشة - مؤسس الجمعية الأمريكية للطب النفسي - ماي 2004

نسهل افتتاحية العدد لهذا المقطف الذي رسم فيه البروغسور أحمد عكاشة الحال الذي أصبح عليه عالمنا اليوم... عالم تشابكت فيه الأوضاع وتعددت خاصة في المنطقة العربية التي شهدت مرضات سنظل لسنوات طوال فغاني انعكاساتها السلبية على مستوى الياقة النفسية للإنسان العربي. إن جسامته الأحداث وسوقها لن تمن على منطقتنا دون أن تترك بصماتها على مدى عقود من الزمن حيث لم يشهد الإنسان العربي على مدى تاريخه المعاصر مرضات هزت استقراره النفسي وأدت إلى زعزعة جهاز التغير لديه، مثل ما يتعرض له اليوم ومن هنا فإن مسؤولية أخصائيي الصحة النفسية تعد جسيمة فالإنسان العربي لا يكاد ينجو من صدمة حتى تلاحقه أخرى أشد وأعنى... إن وضعا كهذا يتطلب حراسة مستفيضة للحالة النفسية الراهنة والحلول المقترحة مما يمكننا من الصدي للعتايل النفسية للرضات المتتالية، و تجنب الإزمان الذي يعيق التفاعل السوي و يرفع نسبة العطالة النفسية، إن حاجتنا إلى أخصائيي الرعاية النفسية والطب النفسية تعد في غاية الأهمية ولم تكن في يوم ما أكثر ضرورة من اليوم، ولكن قلته هو لا تجعلهم مطالبين بتقدير جهدهم مضاعف للصدي للاضطرابات الآتية والمنظومة.

من محذورات العدد ...

يشاركنا البروغسور عكاشة في مسهل باب الأبحاث والمقالات الأصلية يبحث رسم فيه استراتيجية خدمات تأهيل الرعاية النفسية لعراق ما بعد الحرب، مقدما الجهود الذي قامت به الجمعية العالمية للطب النفسي سواء قبل اندلاع الحرب بالتحذير من انعكاساتها الجسام أو بعد الحرب من خلال الدعوة لأن ينجو الأطباء النفسانيين الصراعات السياسية والعرقية والدينية لصالح مرضاهم والاستعانة بالمنظمات غير الحكومية ومنظمة حقوق الإنسان للمساعدة في تقديم خدمات الصحة النفسية لشعب العراق، مؤكدا حرص الجمعية العالمية للقيام بدور أساسي في هذا المضمار. وبالمناسبة أجعل الدعوة للجمعيات الطبية والعلمية العربية للمساهمة في تقديم خدماتها لضحايا الحرب من الشعب العراقي، إن اهتمام المنظمات الدولية والعالمية لا يعنى المنظمات والجمعيات العربية من مسوق ولما لها تجاه أشقاؤهم. إن من أولويات الرعاية التيام بالدراسات الميدانية واليات للاضطرابات النفسية لتخليد نوعية الاضطرابات ونسبة انتشارها ووضع خطط الصدي لها والتقدير الرعاية الصحية في مرحلة لاحقة وفي هذا الإطار نعرض لبحث إيراد السراج و سمي كوتة

حول "اضطرابات الشدة التالية للصدمة النفسية عند الأطفال الفلسطينيين" الذي خلص إلى أن أكثر من 49% من هؤلاء يعانون من هذا الاضطراب. كما نعرض بمناسبة تأسيس موقع "المركز العربي للطب المسند" على شبكة الإنترنت (www.arabicebm.com) بحث أديب العسالي حول الطب المسند (الطب المعتمد على البرهان) يسلط الضوء فيه على هذا الفرع من التخصص الطبي الذي يهدف إلى مساعدة الأطباء و مخططي السياسات الصحية لمواكبة مستجدات البحث العلمي الطبي و تسريع نقل المكشفات الطبيعية إلى اللغة العربية، إنني و إذ أشيد لهذا الإنجاز العلمي أعترف بفضل الزميل العسالي و بجهده المتواصل خلال السنوات الأخيرة لتأسيس هذا العمل الذي يساهم في رفع مستوى خدمات الرعاية الطبية. كما يشاركنا أيضاً كل من الزملاء: جمال نصار (الأردن)، فيصل الزمران (الإمارات)، غيثا الحياط (المغرب) و فريد شكري (المغرب) بالأبحاث التالية: "ظواهر التزامن كمثال على قصور علم النفس اليوتغي"، "العلاج السلوكي"، "أثر وبيولوجيا المعرفة في العالم العربي و الإسلامي"، "الفناء النفسي و الأثر وبيولوجي". و في مركز الحوارات نعرض حوار مع البروفيسور عبد السنار إبراهيم (السعودية) تناول فيه الإبداع من منظور علم النفس و علاقته بالاضطراب النفسي و سبل استكشاف بذور الإبداع و تسميتها و رعايتها، هذا إلى جانب حوار مترجم للزميل سامر جميل رضوان (عمان/سوريا) مع هانس تومي الذي يعد من أبرز علماء النفس الألمان مسلطاً الضوء على مسيرته العلمة و إسهاماته في إثراء علم نفس الشيخوخة. كما يشاركنا في وجهات نظر الزملاء: محمد أحمد النابلسي (لبنان) بقراءة نفسية للفكر الاستشراقي خلص فيها إلى قبول كل ما هو إنساني (مشارك بين البشر) في الحضارة المعاصرة مع الإصرار على تعديل كل ما هو خاص بالآخر احتراماً لخصوصيته و استيعاباً لفرادته بما يساعد المرء على اكتشاف ذاته و تكريسها كآثر، و عدنان حب الله (لبنان) في قراءة فلسفية لظاهرة الحجاب في بلد علماني (فرنسا) مفككا دلالاتها و رموزها اللاواعية، و غيبي الرخاوي في "وهو اللاهمل، وهو الأكلب" بتأكيده أن تصارع أوهام الأفراد و جدتها مع بعضها هو الذي يقوم بتأسيس نسيج الثقافة الخاصة بكل جماعة في مرحلة تاريخية، بذاتها هذا النسيج القادر على استيعاب أوهام الأفراد لتصبح واقعا مفصحا في حلم قابل للتحقيق في صورة ممتدة. و في مركز القياس النفسي يعرض حسان المالح (السعودية) و فيصل الزمران (الإمارات) اختبار الرهاب الاجتماعي على العرب داعين من خلاله الزملاء مشاركتهم بإجراءه على عينته من المرضى قصد تقييمه للتوصل إلى تأسيس اختبار نفسي لهذا الاضطراب. و في باب مراجعة كتب نعرض لكتاب فاروق المجدوب "طرائق و منهجية البحث في علم النفس" الذي يعد إلهاماً للمكثبة النفسية العربية لافتقارها مراجع هامة عن البحث في علم النفس و الذي يعتبر حدثاً مميزاً في ميدانه. و في مراجعة مجلات تقدم ملخصات العدد 57 من الثقافة النفسية الذي اهتم بمحور الرئيسة بعلم النفس السياسي بإمضاء خيبة من الأطباء و الأخصائيين النفسيين العرب. و سعياً وراء متابعة آخر أبحاث العلوم النفسية تم إحداث باب خاص بمسجدات الطب النفسي نعرض فيه ما خلصت إليه الأبحاث الحديثة العالمية لمواكبة التطور السريع و الملمت الذي تشهد العلوم النفسية اعتقاداً منا بأهميتها الاستيعاب ما وصل إليه الفكر الإنساني في هذا الفرع من العلوم سعياً لتجاوز خلفا طال أمده أملا في الندوة العلمية لاحقاً عندما تنهياً الأسباب الموضوعية لذلك. و في خاتمة العدد، نعرض لبعض من مداخلات الزملاء في منتدى الشبكة حول موضوع المحور الأول "اللغة العربية و العلوم النفسية" آملين إثراء بدعوة الزملاء للمساهمة بأي و الرأي المخالف تطوراً نحو الأفضل. كما نرصد إضافة مركز للتطبيقات نعرض فيه ملتقطات من شهادات أساتذة الطب النفسي حول الشبكة و إصداراتها و هي شهادات نعتز بها و نعتبرها خير حافز لنا لمواصلة التدريب رقيقاً لهذا الاختصاص في أوطاننا.

كما نترجم هذا العدد مع نهاية سنة أكاديمية و هي فرصة نعرض فيها لما تم إنجازه من النظائر العلمية لهذا الاختصاص على مستوى الوطن العربي حيث كان الحدث البارز تعقد مؤتمر الأطباء النفسيين العرب (بغداد - ديسمبر 2003) في حين انعقد المؤتمر الأول للصحة النفسية بالخليج في ظل ارتباطك التنظيم (الكويت - ديسمبر 2003) ليحظى بالنجاح كل من المؤتمر الأول للمحللين النفسيين الناطقين بالعربية (بيروت - ماي 2004) و المؤتمر الإقليمي الأول لعلم النفس في الشرق الأوسط و شمال أفريقيا (دبي 13-18 ديسمبر 2003) إلها حصيلة هزيلة على مستوى الملتقيات العلمة النفسية و الطب النفسية لمجموعة سكانية يتجاوز عددها 300 مليون نسمة تعكس تزايداً للوضع العلمي العربي و تشدنا عن ديارنا نحن في أشد الحاجة لتجاوزة تحقيقاً لمستقبل أفضل و لن يكون كذلك إلا بالسعي الدؤوب و العمل الجاد المشترك.